إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الثانية عشرة، العدد السادس والأربعون ـ صيف ١٤٠١ش / حزيران ٢٠٢٢م
DOR: 20.1001.1.22516573.2022.12.46.2.6
صص ٥١ ـ ٢٩

استعمار أمريكا الجديد وعدائها للعرب فى رواية "شيكاغو" لعلاء الأسوانى

فاطمة برناكى(الكاتبة المسؤولة)*
ناتاشا پوردانا**
حجت اله بزرآبادى فراهانى***

الملخص

لقد خضع الأدب منذ زمن بعيد للدراسة والبحث كمظهر رمزى للسياسات التى تحكم المجتمع. ستبين القراءة الأدبية لدراسة الموقف من العنصر العربى والإسلامى فى أمريكا التى تدعى الديمقراطية والحرية والمساواة فى الحقوق للجميع، الحقيقة الاجتماعية والسياسية للعصر الحالى الذى يعرف بحقبة ما بعد الاستعمار وما بعد الحداثة. هذا المقال عبارة عن قراءة اجتماعية-سياسية لمكانة الهويات العربية والإسلامية فى رواية "شيكاغو" لعلاء الأسوانى بناءً على النظرية السياسية لشانتل موف، المفكّرة السياسية والفيلسوفة الفرنسية التى تقول إن فهم الجميع مستحيل بسبب وجود ما يسمّى بالأيديولوجية المتفوقة. وما يحدث فى ديمقراطية ما بعد الاستعمار، هو نوع من السياسة الجديدة من أجل الحفاظ على الديمقراطية الحاكمة والسيطرة على المعارضة. يعبّر التحليل الاجتماعى والثقافى لرواية شيكاغو التى تصور حياة المهاجرين فى المجتمع الأمريكى بعد هجمات ١١ سبتمبر، عن نوع من الاستعمار الجديد بطريقة خفية، حيث يعتبر العنصرين العربى والإسلامى أعداء محتملين للبلاد والشعب الأمريكى وعامل الإرهاب فى أذهان الجمهور وهذا يظهر الحقيقة المخفية بأن المساواة فى المجتمع الأمريكى ليست أكثر من شعار ديمقراطى وسياسة جديدة بطريقة استعمارية جديدة، من خلال إثارة الخوف والكراهية تجاه الجالية العربية والمسلمين الآخرين، ومحاولة السيطرة على "العناصر ومعتقدات الآخرين".

الكلمات الدليلية: الاستعمار الجديد، ديمقراطية ما بعد الحداثة، الآخر والذات، العدو الصديق، الأيديولوجية.

*. أستاذة مساعدة فى قسم اللغة الإنجليزية وآدابها، فرع كرج، **جامعة آزاد الإسلامية**، كرج، إيران
fbornaki@kiau.ac.ir
. أستاذة مساعدة فى قسم الترجمة وتعليم اللغة الإنجليزية، فرع كرج، **جامعة آزاد الإسلامية، كرج، إيران
***. أستاذ مساعد فى قسم اللغة الإنجليزية وآدابها، فرع أراک، **جامعة آزاد الإسلامية**، أراک، إيران
تاريخ الاستلام: ١٤٤٣/٠٦/١١ق تاريخ القبول: ١٤٤٣/٠٩/٢٣ق

المقدمة

بعد هجمات ١١ سبتمبر، صرّح الرئيس الأمريكى بوش فى خطابه أمام الكونجرس أن الحرية تتعرض للهجوم. إن القراءة الاجتماعية والسياسية لانعكاس الهوية العربية والإسلامية فى الأعمال الأدبية بعد ١١ سبتمبر فى ظل الأجواء السياسية لبلد كأمريكا التى تدعى بأنها رمز للحرية، ستقدّم صورة رمزية للمجتمع الأمريكى وسياساته فى حقبة ما بعد الاستعمار. يحاول هذا المقال من خلال نظرية شانتل موف[1] الفيلسوفة والمفكّرة السياسية الفرنسية، بخصوص الديمقراطية التعددية[2] التى تحاول السيطرة على الخصوم عبر معاملة الخصوم كأصدقاء، تصوير هوية ومكانة المواطنين العرب والمسلمين فى رواية "شيكاغو" للكاتب المصرى علاء الأسوانى. أدى توسع المجتمع العالمى وطمس الحدود الجغرافية للبلدان بسبب الهجرة وتعدد الجنسيات إلى ظهور هويات عبر الوطنية لتحل محل الهويات الفردية المحددة، ونتيجة لذلک يتم احترام جميع الأشخاص والهويات على أساس مبدأ التعددية واحترام الجميع فى عصر ما بعد الحداثة. على الرغم من أن الاتجاه المعادى للشرق من قبل الدول الغربية فى كتاب "الاستشراق" لإدوارد سعيد، الناقد الأدبى من أصل فلسطينى، قد عبّر بوضوح عن استعمار الغرب وهيمنة أمريكا فى الشرق وأثره على خلق هوية غربية، ومن جانب آخر بينت بدورها الناقدة الأدبية الأمريكية غاياترى سبيفاک، الفجوة بين العالم الثالث والعالم الأول، مؤكدة على الصراع بينهما، إلا أن أمريكا تدّعى المساواة بين جميع الأعراق والأديان وتتحقق من خلال الديمقراطية التى تحكم المجتمع الأمريكى والتعددية والفردية الناشئة عن ثقافة وحضارة ما بعد الحداثة. من وجهة نظر علم الاجتماع، وبناءً على نظرية كارول جيليجان حول "المبادئ الأخلاقية لرعاية الآخرين"، فى حقبة ما بعد الحداثة، تم تشكيل الهويات الفردية بطريقة تعتبر الاهتمام بالآخرين ورعايتهم أمراً ضرورياً ومبدأ أخلاقياً. فبناءً على ذلک، أصبحت الفجوة بين الأديان والأعراق المختلفة غير محسوسة وفق المبدأ الأخلاقى المتمثل فى الاهتمام بالآخرين، واختلط الـ"أنا" و"الآخر" معاً

1. Chantal Mouffe
2. 2. Plural democracy

فتسبّبا فى التعددية والفردية فى عالم ما بعد الحداثة. إن القراءة الاجتماعية – الثقافية لرواية شـيكاغو فى هذا المقال، بهدف دراسـة التضاد والتناقض بين الهوية الأمريكية والهوية العربية والإسـلامية وتفسـير كيفية تعايش الـ"أنا" و"الآخر"، إنما تتطلب قراءة سياسية ترسم الصورة الأدبية للتفاعل عبر الوطنية لهذه الهويات. وبناءً على ذلك، وفى أعقاب هجمات ١١ سـبتمبر فى أمريكا، ونتيجة لشعور الرعب الناتج عن هذه المأساة فى المجتمع الأمريكى، تم تشكيل سياسة استعمارية جديدة والتى تعتبر العرب وغيرهم سـبباً محتملاً للهجوم والإرهاب وتهديداً للأمن، ولكن وفقاً لنظرية الديمقراطية التعددية السياسـية، فإن الحلّ من أجل لحفاظ على اسـتقرار وأمن مجتمع ما بعد الحداثة، هو التسـامح مع "الآخر"، والذى يمكن اعتباره نوعاً من الاستعمار الجديد الذى حل محل الرفض والاحتفاظ بـ "الآخر" فى الأقلية خلال الحقبة الاستعمارية.

تتعامل بعض الروايات التى أعقبت هجمات ١١ سـبتمبر بشكل مباشر مع هجمات ١١ سـبتمبر والإرهاب، لكن يبدو أن العديد من الروايات الأخرى لا تتناول موضوع هجمات ١١ سـبتمبر فى أمريكا، ومن ضمنها رواية "شـيكاغو" بقلم علاء الأسوانى. فهذا المقال يهدف إلى دراسة تأثير هجمات ١١ سبتمبر على الترويج السياسى المعادى للعرب فى رواية "شـيكاغو"، والتى يبدو أنها مجرد انتقاد للسياسة المصرية ولا تتناول بشـكل مباشـر هجمات ١١ سـبتمبر. وبالتالى، يمكن إثبات أيديولوجية وعقلية تعتبر القوميـات الأخرى كعامل أجنبى يمكن أن يشـكل تهديداً لأمـن الفرد والبلد فى هذه الرواية بناءً على النظريات السياسية وما بعد الاستعمار.

خلفية البحث

لقـد لفت النقد الاسـتعمارى الجديد فى القرن الحادى والعشـرين انتباه المفكرين والنقاد بشكل عام. يعتقد كيفن جونسون فى كتاب *فتح السدود: لماذا تحتاج أمريكا إلى مراجعة قوانين الهجرة وشروط حدودها* (٢٠٠٧م) أن مفهوم "إضفاء الطابع الآخر" فى أمريكا ليس مفهوماً جديداً ويمكن العثور على أمثلة عليه فى القرن التاسع عشر، مشيراً إلى قانون التقييد الصينى (١٨٨٢م) ومشروع قانون الهوية الوطنية (١٩٢٤م)، كما يعتقد

أن هذه الأمثلة تُظهر الخلفية التاريخية لجهود أمريكا فى "إضفاء الطابع الآخر".

فى كتاب *المرأة المسلمة*، يعتقد إيفون حداد أن سياسة "إضفاء الطابع الآخر" فى الغرب، وتحويل الأقليات القومية إلى "الآخر" إلى مواطنين افتراضيين، يمكن رؤيتها فى الواقع فى الهيكل السياسى لرجال الدولة الغربيين. ويعتقد أنه بناءً على هذه الممارسة التى تتجلى بأشكال مختلفة فى المجتمعات الغربية، «يتم تقديم الإسلام باعتباره إطاراً ثقافياً من قبل الغرب كنظام غير فعال وغير مؤهل مقارنة بالإطار الثقافى الغربى.» (حداد، ١٩٩١م: ٢٢)

يعتقد ستيفن شتاينبرغ فى كتابه *Race And Ethnicity In The United States: Issues And Debates* (العرق والانتماء العرقى فى الولايات المتحدة..) أن هذا البلد هو أكثر من مجرد مجموعة من الولايات المختلفة، بل إنه مجموعة كبيرة من المجموعات الثقافية والعرقية والدينية (شتاينبرغ، ٢٠٠٠م: ٢٠). هذه القضية بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، والتى أدت إلى الترويج الواسع النطاق لمحاربة الإرهاب من قبل الحكومة الأمريكية من خلال تأجيج الخوف من "الآخرين"، والتى تعدّ الحكومة الأمريكية المؤسس الرئيس لها، عرضت مفهوم " الآخر" بطريقة جديدة ضد الأمن القومى.

فى مقالها «*Between enemies and Traitors: Black Press Government of September 11 and the Predicaments of national 'Others*» (٢٠٠٣م) (بين الأعداء والخونة: تغطية جريدة لأحداث ١١ سبتمبر/ أيلول ومآزق من الآخر الوطنى المتعلقة بالسود)، توضح روبالى موخرجى[1] دور الإعلام المدوّن الأمريكى للسود فى تشكيل وتعقيد المفاهيم العنصرية فى الروايات التى ظهرت فى تلك الفترة الزمنية. وتعتبر هذا السلوك الإعلامى ناشئاً عن خطاب واتجاه "الوطنية الفائقة" التى تحرض على العنف وتتسبّب فى فقدان التسامح الوطنى.

تطرح إيمى نيبريج هذه القضية أيضاً من جانب آخر فى «عن الأبطال والأبطال الخارقين» (٢٠٠٣م)، وهى تعتقد أنه فى الكتب (الروايات) المصورة المبنية على حادثة ١١ سبتمبر، لم يعد للبطل أو الأبطال (المنقذ، الآخرون) مكان، لكن الراوى بضمير المتكلم حلّ محل هؤلاء الأبطال حتى أن هذا المفهوم يفسر تحول البطل والبطل الخارق

1. Roopali Mukherjee .

إلى "آخر" وفقاً لنيبرج.

ناثان لين يصرح فى كتابه *The Islamamophobia Industry* (صناعة الإسلاموفوبيا (رهاب الإسلام): كيف يصنع اليمين أشخاصاً كارهين للمسلمين» (٢٠١٢م) بأن دور النشطاء الاجتماعيين (المدونين) ومقدّمى البرامج التلفزيونية ذوى الميول اليمينية والزعماء الدينيين الأمريكيين المتطرفين والسياسيين قد عملوا جميعاً جنباً إلى جنب فى ١١ سبتمبر للتحريض على رهاب الإسلام، ومن ثم دفع مشاعر أبناء وطنهم تجاه الإسلام والمسلمين بأنهم أعداء محتملون لبلدهم. وبعد شرحه لروتين هذه الآلية الرهيبة، اعتبر أن مفهوم "إضفاء الطابع الآخر" للمسلمين إنما تأتى نتيجة لمثل هذه الدعاية الأيديولوجية المدمّرة.

أهداف البحث: الهوية الاستعمارية الجديدة لـ "العدو الصديق"

تتطلب دراسة هوية الشخصيات ووضعها فى حقبة ما بعد الاستعمار وما بعد الحداثة، تحليل مفهوم الهوية التعددية وسبب تكوينها. الهوية تعنى بالضرورة «عملية مستمرة لبناء الهوية الفردية والتفاعل الاجتماعى.» (جيلروى، ٢٠٠٠م: ١٠٣). تلعب الهوية دوراً مهماً فى النزاعات الثقافية والعرقية والدينية والوطنية. فى عصر العولمة، لم تعد الهوية منحصرة على مناطق جغرافية محددة بسبب الهجرة وتغير المعتقدات والقيم التى تصنع الهوية. لذلك، يكتسب الكثير من الناس هوية عبر وطنية، تزيل كل الحدود والتناقضات الشخصية والاجتماعية والثقافية القائمة على المبدأ الأخلاقى المتمثل فى الاهتمام بالجميع. على الرغم من أن هذه الهوية عبر الوطنية قد تسببت فى تفاعل عبر وطنى يفوق الوطنية والعرقية، إلا أنه عند إلقاء نظرة ثاقبة، فإنها لا تزال تُظهر نوعاً من الصراع والعداء الخفى بين الأشخاص من مختلف الأعراق والأديان، والتى تظهر قراءة اجتماعية سياسية لهوية الناس وتفاعلاتهم فى هذه الرواية، هوية "العدو صديق"[1] كإحدى سمات هوية ما بعد الحداثة.

أسئلة البحث

هل يتمتع العرب بالمساواة والحرية فى المجتمع الأمريكى فى حقبة ما بعد الاستعمار؟

1. Agonism

ما هو الفرق بين معاداة الآخر فى المجتمع الأمريكى والمستعمرات السابقة؟

فرضيات البحث

- فى المجتمع الأمريكى ، بعد هجمات ١١ سبتمبر ، مع تبرير مكافحة الإرهاب ، نشأ نوع من العداء تجاه العرب.
- وفقًا لنظرية شانتل موف، من خلال إنشاء هوية جديدة على شكل "عدو مزيف كصديق"، بدأت أمريكا نوعًا من الاستعمار الجديد، والذى يظهر على السطح تفاعلا وديا مع العرب والأجناس الأخرى، ولكن فى الواقع يعتبرهم أعداء.

التنظير: الاستعمار الأمريكى الجديد وهوية "العدو الصديق"

فى القرن الحادى والعشرين، وهو فترة الليبرالية الجديدة وما بعد الحداثة، تم التأكيد على الحقوق المتساوية للجميع، وفى غضون ذلک، ستكشف الدراسة حول الهيمنة الاجتماعية والسياسية السائدة عن طبيعة هذه الحرية والمساواة الحقيقية الخافية. بدوره يوفّر الأدب أرضية الوصول إلى هذه الهوية ما بعد الحداثوية والتعددية على ما يبدو، بحيث يمكن من خلال دراسة هذه الشخصيات، استنتاج ما إذا كانت جميع هواجس الحقبة الاستعمارية قد انتهت فى ظل حقبة ما بعد الاستعمار، أو أن العلاقات القائمة على القوة والهيمنة لا تزال موجودة ويدعم الاستعمار بطريقة جديدة. فى القراءة السياسية للرواية المختارة، يتم وضع العرق والدين للأقلية المهيمنة العليا باعتبارها "العدو الصديق" تحت سيطرة الأيديولوجية المهيمنة بطريقة اجتماعية وسياسية. يهدف هذا المقال إلى تصوير استمرار الاستعمار فى العصر الحديث من خلال قراءة أدبية لمكانة هوية المهاجرين فى المجتمع الأمريكى بعد ١١ سبتمبر، وهى السيطرة والحكم على الآخرين ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً أو أخلاقياً.

فى عصر العولمة، لم تعد الهوية مقتصرة على مناطق جغرافية محددة بسبب الهجرة وتغيير المعتقدات وقيم الهوية، بل إنها تتغير دائمًا. تؤكد نظريات ستيوارت هال المتعلقة بالهوية الثقافية للمهاجرين أيضاً التغييرات المستمرة فى هوية المهاجرين. يعتقد هال أن الهوية الثقافية هى عملية تنطوى على "الصيرورة" إلى جانب "الكينونة". تنتمى هذه

الهوية إلى المستقبل بقدر ما تنتمى إلى الماضى. كما يعتقد هال أن الهويات الثقافية تأتى من مكان ما ولها تاريخ، ولكنها مثل أى مادة تاريخية أخرى، تخضع لتحول مستمر. (هال، ١٩٩٠م:٢١٩) لذلك، نتيجة للهجرة واختفاء الحدود الجغرافية، تتشكل هوية شاملة تحاول التفاعل مع الناس من أعراق وديانات أخرى، مما يمثل هوية جديدة فى عصر ما بعد الحداثة، وهى قراءة سياسية-اجتماعية للتعبير الأدبى عن هذه الهوية، المتمثلة بـ"العدو الصديق" والتى تكشف عن أبعادها السياسية الاستعمارية.

الاستعمار الأمريكى الجديد فى طبقة خفية

تدعى الولايات المتحدة الأمريكية بتنوعها العرقى الكبير بأنها تمتاز بالتعددية الثقافية. يعتقد ستيفن شتاينبرغ أن أمريكا ليست مجرد مجموعة من الدول، ولكنها أيضاً مجموعة من التنوع العرقى والثقافى والعرقى والدينى -أى مجموعة من الجنسيات المتضاربة. (شتاينبرغ، ٢٠٠٠م: ٢٠) بعد الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، تسببت الحرب التى شنتها الحكومة الأمريكية على الإرهاب فى الخوف والرعب الذى أحسه الأمريكيون من "الآخر"، مما يؤكد مثل هذا الشعور وتأثيره على الهوية الفردية، أن له تفسيراً سياسياً. لقد تناولت العديد من الدراسات الحديثة الآثار الاجتماعية والسياسية لأحداث ١١ سبتمبر على السياسات الخارجية للولايات المتحدة فيما يتعلق بالإرهاب، ولكن من المهم ما إذا كانت الهوية الفردية والعرقية والحريات عبر الوطنية معرّضة للتهديد مرة أخرى فى أمريكا بعد هجمات الحادى عشر من سبتمبر وهى النقطة التى لم يتم تناولها حتى الآن. يسعى هذا البحث إلى دراسة مظهر "الآخر" فى رواية شيكاغو للكشف عن تشكيل العقلية الاستعمارية المتمثلة فى اعتبار سائر الجنسيات على أنها "أخرى" بشكل خفى فى المجتمع وذلك على الرغم من الديمقراطية التى تدعيها الولايات المتحدة الأمريكية ويمكن تحليل مظهر ذلك فى الأعمال الأدبية. يشدد أليك بوهمر على أهمية دراسة الاستعمار الجديد لأن «إن قراءة مختلفة للإرهاب تجعلنا نثبت حدوثه وعواقبه الاستعمارية كمظهر جديد لإدخال الإرهاب ضمن عودة الهمجية من قبل "الآخر" واستغلاله السياسى.» (بوهمر، ٢٠٠٦م: ١٤٧) لذلك، يمكن اعتبار هجمات الحادى

عشـر من سبتمبر نقطة تحول لسياسـات جديدة ضد عدو مفترض محدد سلفاً، وهو ما يذكرنـا بعداء أمريكا للأعراق والثقافات الأخـرى. كما يقر جان بودريار، أن «هناك بالفعل عداء أساسـيا، بين أمريكا (التى هى رمز للعالمية ولكنها ليست المطالب الوحيد بالعالميـة بأى حال من الأحوال) والإسـلام (الذى ليس بأى حـال من الأحوال رمز للإرهاب)، حيث تكون الكونية موضع تساؤل.» (بودريار، ٢٠٠٢م: ١١) على الرغم من أن مفهوم الاسـتعمار الحديث قد قدّمه الماركسيون وما زال يستخدمه الجناح اليسارى (حزب العمل)، ولكن وظف الاسـتعمار الحديث فى المجـالات الثقافية والاجتماعية والمتعلقة بالهوية. والاسـتعمار الحديث فى الدراسات الاجتماعية والثقافية، وهو غاية هذه المقالة، يعنى الاسـتعمار الثقافى، وهو الهدف المحتمل للدول الغنية للتأثير على قيم ومعتقـدات الدول الأخرى من خلال الأدوات الثقافية مثل الإعلام والتعليم، وإلخ. كما أن الهـدف النهائى من وراء ذلک تحقيق الأهداف الاقتصادية. فنتيجة هذا الاسـتعمار الجديد هى خلق عقلية وهوية ناتجة عن الاستعمار بصورة عامة، تعتبر نفسها أدنى من الثقافـة المهيمنة وأن الأيديولوجية الحاكمة تمثل الثقافة العليا التى يرغبون فى تحقيقها. فى الخمسـينيات مـن القرن الماضى، صرح فرانز فانون بجـرأة: «هناک حقيقة: الناس البيض يعتبرون أنفسـهم متفوقين على السـود.» (فنون، ٢٠٠٨م: ١٧) بعد خمسة عقود، ينكر معظم الأمريكيين البيض ذلک ويرون فى انتخاب باراک أوباما رئيسـاً للولايات المتحـدة علامة على غيـاب العنصرية فى أمريكا. ووفقاً لـوودى دوان، فإن «الادعاء بأن العنصرية لا معنى لها فى أمريكا، هو بحد ذاته يظهر تجاهل عدم المساواة العرقية». ويضيف، «لقد أصبح العرق موضوعاً غير قانونى للمناقشـة، وأولئک الذين يناقشـون عدم المساواة العرقية متهمون بلعب الورق العنصرى أو أنهم أنفسهم عنصريون.» (دوان، ٢٠٠٣م: ١٤) ومع ذلک، يرفض الفلاسـفة والمنظرون انتهاء الحقبة الاستعمارية بجميع أشكالها. ولكن بدوره يؤكد روبين كيلى على استمرار الاستعمار قائلا: «الحقيقة هى أنه على الرغم من اختفاء الاسـتعمار فى شكله الرسمى، لا تزال الحكومات الاستعمارية قائمة. إن العديد من مشاكل الديمقراطية هى نتيجة أداء الحكومات الاستعمارية السابقة والتى تتمثل مشـكلتها الرئيسة فى وجود أعراق أخرى.» (كيلى، ٢٠٠٢م: ٢٧) وتجدر

الإشـــارة إلى أن السمة المهمة للاستعمار الحديث، هى مطلبه أن يكون مخفياً وغير مميز حتـــى يتمكن من تحقيق أهدافه وعدم الاعتراض عليه من قبل المســـتعمر. لذلك يعتبر المســـتعمرون أنفسهم أحراراً ويتجلى الاستعمار الجديد فى شكل حضارة. وفقاً لنظرية آنيا لومبا، فإن الوظائف غير المتجانســـة للاستعمار وتنقله الجغرافى فى القرون الأربعة الماضية جعلت من الصعب للغاية إثبات وجود الاستعمار بشكل جلى. (لومبا، ٢٠٠٥م: ٣) نتيجة لذلك، يمكن اعتبار الاستعمار الحديث فى أمريكا نوعاً من الاستعمار الداخلى الذى يســـتغل ويضطهد الناس من أعراق أخرى من أجل تحقيق أهدافه الاســـتعمارية الأمريكية المتمثلة فى اكتســـاب الثروة والســـلطة من خلال أيديولوجية متفوقة وإبعاد العرب والمســـلمين من خلال تعريفهـــم بلقب الجهات المهدِّدة وعامـــل الإرهاب. يعتقد إدواردو بونيلا سيلفا، أن «النقطة الرئيسة فى الاستعمار الجديد هى الحفاظ على سيادة البيض.» (سيلفا، ٢٠٠٤م: ٤)

التعددية الديمقراطية الجديدة: ١١ سبتمبر ومعاداة الآخر (السامية) الخفية

فى حقبة ما بعد الحادى عشـــر من سبتمبر، استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية الخوف والذعر اللذين تسبّبتا فى الهجمات الإرهابية لإعادة إرساء عقلية عنصرية ضد المســـلمين والعرب. لكن لفظة الـ"جديد" تشير إلى إخفاء الاستعمار الأمريكى فى هذا القـــرن على الرغم من أن قوانين الولايات المتحـــدة والعلاقة بين الأعراق المختلفة يتم شرحها على أساس مبادئ الديمقراطية، وفقاً لنظرية شانتل موف، يتحد المواطنون ضد العدو المفترض لبلدهم، أى ضد "الآخر". (موف، ٢٠٠٠م: ١٣) تعتقد موف أن السياسة ليست سوى خلق حدود. (موف، ٢٠٠٦م: ٣٢٣) وفى الرواية الحالية، تم تحليل المظاهر الأدبية لخلق حد بين "الذات" و"الآخر" بعد هجمات ١١ سبتمبر فى الولايات المتحدة الأمريكية. والحدود التى تم إنشـــاؤها بعد ١١ ســـبتمبر تعتبر "الآخرين" تهديداً لأمن الشعب والبلاد. على الرغم من حقيقة أن جميع الأشخاص والجنسيات يبدون متساوين فى التفاعلات الاجتماعية وأن المهاجرين من الأعراق الأخرى يعيشون فى سياق عبر الوطنيـــة جنباً إلى جنب مع الأمريكيين، لكن خوف الأمريكيين الأصليين من الآخرين

غير الأمريكيين (خاصة الآسيويين/ العرب والمسلمين) يتخفى فى غطاء الديموقراطية الحديثة، ويتخذون سياسة "العدو الصديق" فى تعاملهم مع هذا الموضوع حتى يتمكنوا من هزيمة الأيديولوجيات التى تعارض الأيديولوجية المتفوقة، وهذا ما تعتبره شانتل موف سمة من سمات الديمقراطية الحديثة.

"شيكاغو" وكراهية خفية تجاه العرب والمسلمين

تناول علاء الأسوانى، أحد المفكرين الليبراليين وكتّاب القرن الحادى والعشرين البارزين فى مصر، والذى انتقد فى رواياته السابقة فساد الحكومة المصرية وقمعها، تناول فى روايته الشهيرة "شيكاغو" المواجهة الجديدة بين الهوية العربية والهوية الأمريكية فى فترة ما بعد هجمات ١١ سبتمبر. هذه الرواية التى تصوّر التفاعلات الثقافية والاجتماعية لشيكاغو فى شكل أدبى، تعطى حياة جديدة للهوية المهملة للعرب فى مشهد ما بعد الحداثة. وبحسب الأسوانى، فإن هذا الإهمال يعود إلى حقيقة أن الأدب العربى نسى السرد القصصى وعبّر عن التجارب فقط.

الأسوانى الذى عاش ودرس طب الأسنان فى شيكاغو من ١٩٨٤م إلى ١٩٨٧م، دوّن فى رواية "شيكاغو" عام ٢٠٠٨م، تجاربه الممزوجة بالخيال لتكون انعكاساً أدبياً للهوية العربية فى المجتمع الأمريكى. يروى الأسوانى فى هذه الرواية قصة العديد من الشخصيات فى الرواية، معظمهم من المصريين، والنقطة المشتركة بينهم هى جامعة إلينوى. إن العلاقات وتفاعلات هذه الهويات العربية فى هذه الرواية تعبّر عن نوع من الصراع والتناقض فى حقيقة وصحة السياسة الحاكمة والتفاعلات الإنسانية والثقافية/ الاجتماعية. تتفاعل جميع شخصيات الرواية بطريقة ما مع كلية طب الأسنان بجامعة إلينوى، حيث يشكل الأساتذة والطلاب وعائلاتهم نسيج عبر الوطنية وهو يمثل مظهراً من مظاهر المجتمع الأمريكى ما بعد الحداثى. على الرغم من أن البعد الزمنى للرواية لا يستمر إلا لبضعة أشهر، إلا أنه فى هذه الفترة القصيرة من الزمن، يمر العديد من الشخصيات فى القصة بأزمات وأحداث مؤسفة تمثل المصير المتأمل للهويات غير الأمريكية فى مجتمع أمريكا المتكافئ على ما يبدو.

وتتناول رواية "شيكاغو" حكايات ترويها شخصيات الرواية، وهدف الأسوانى فى هذه الرواية، هو سرد الأنشطة السياسية للمصريين فى أمريكا واحتجاجهم على فساد الحكومة المصرية وقمعها. قراءة اجتماعية سياسية لشخصيات القصة تصور حقيقة يمكن من خلالها انتقاد هوية المهاجرين المصريين الذين يدرسون أو يعملون فى مدينة شيكاغو على عكس الشخصيات الثانوية فى الرواية وهم أمريكيون، للكشف عن الطبقات المخفية للرواية. على الرغم من أن مؤلف الرواية يصوّر الحركات السياسية للطلاب والأساتذة المصريين ضد حكومة حسنى مبارك، إلا أن هذه الرواية تصور بشكل رمزى التمييز بين الذات والآخر، وتحديداً الأمريكيين والعرب المسلمين. من وجهة نظر الأسوانى، وبحسب الروايات الواردة فى الرواية حول التاريخ العنصرى لأمريكا ومدينة شيكاغو بالذات، فإن ما تناقشه الرواية، هو العنصرية والفساد الأخلاقى وانعدام الأمن فى أمريكا. لكن على الرغم من ظهور الروايات التاريخية للقصة عن مدينة شيكاغو، فإن شخصيات القصة وهم من أصل مصرى، يحاولون كمهاجرين تطبيق هويتهم مع الهوية الأمريكية، يجرّبون نوعاً من الازدواجية فى الهوية. وهذه الازدواجية فى الفترة الزمنية التى أعقبت ١١ سبتمبر، تظهر نوعاً من الصراع الخفى بين الأمريكيين وغير الأمريكيين، والذى يصل إلى حد أنه حتى المهاجرين المصريين الذين تكيفوا مع الثقافة الأمريكية، يعتبرون وجود مهاجرين آخرين سبباً فى الخوف وانعدام الأمن فى أمريكا.

الصراع بين وجهات نظر العالم الأول والعالم الثالث: نظرة استعمارية

يمكن تقسيم الشخصيات الرئيسة فى القصة إلى الشخصيات الرئيسة فى الرواية، ومعظمهم من أصل مصرى، والشخصيات الثانوية فى القصة وهم أمريكيون. فى غضون ذلك، فإن التناقض بين الهوية الأمريكية والمصرية واضح تماماً، ويمكن أن نرى الأستاذ جورج ميشيل وناجى عبد الصمد على أنهما هويتان أمريكيتان ومصريتان متعارضتان، واعتبر الدكتور رأفت طيب كرمز للهوية الأمريكية من أصل غير أمريكى، وشخصيات أخرى كهويات تتعارض بين الهوية الأمريكية والهوية المصرية. يعطى الجمع بين القضايا

العائلية والسياسة فى هذه الرواية بُعداً سياسياً لكل ما تقوله أو تفعله الشخصيات. يمثل تعدد الشخصيات الرئيسة والثانوية فى هذه الرواية تعددية عصر ما بعد الحداثة، وترسم الأفكار والحركات السياسية الاجتماعية للشخصيات صورة للجهود المبذولة لتحقيق الديمقراطية فى عصر ما بعد الحداثة. يمكن أن يكون الجمع بين جغرافيا أمريكا ومدينة شيكاغو والأنشطة السياسية ضد الحكومة المصرية رمزاً لطمس الحدود الجغرافية والسياسات العالمية وعبر الوطنية. تقول هايدى ماكفرسون عن تكامل الهوية الفردية والتفكير التعددى ما بعد الحداثى: «إن تكامل صورة ما بعد الحداثة مع مفهوم الهوية ... يخلق فرصة لدراسة تعددية القوة والهوية والتفاعلات فيما بيننا.» (ماكفرسون، ٢٠١٢م: ٥٧٨)

يروى الأسوانى الأجواء الاجتماعية السياسية بعد أحداث ١١ سبتمبر من وجهة نظر الأمريكيين والمهاجرين الذين يمثلون رأيين متعارضين. وما يظهر دائماً فى هذه الرواية، هو التفكير والأديان والأعراق أو الأجناس المتعارضة التى تتفاعل فيما بينها على المستوى الفردى والاجتماعى على الرغم من الاختلافات التى تظهر نتيجة التفاعلات والتناقضات السياسية. الهوية العربية/المصرية لـ"ناجى عبد الصمد" تقدّمه كمهاجر يمكن أن يكون سبباً لانعدام الأمن فى أمريكا، الأمر الذى أدى إلى تحدٍ فى بداية قبول ناجى للجامعة. وكانت معارضة الأستاذ جورج ميشيل لقبول ناجى فى الجامعة واضحة، وأخيراً أدى دعم أساتذة مصريين مثل الدكتور محمد صالح فى الجامعة إلى قبول ناجى فى الجامعة. من وجهة نظر ما بعد الاستعمار، يمثل جورج وناجى ما أسماه إدوارد سعيد بمناهضة الاستشراق فى أمريكا والغرب.

من ناحية أخرى، تعيش الشخصية الأنثوية المصرية فى الرواية، شيماء محمدى، نوعاً من الاستعمار الذى يسبب لها الوحدة فى شيكاغو، والبحث عن ملجأ للدراسات الدينية. تعتقد سبيفاك أن هناك تناقضات وتباينات بين تفكير ورغبات وأهداف المرأة فى العالم الثالث من ناحية والامرأة فى العالم الأول من ناحية أخرى (مورتون، ٢٠٠٣م: ١٢٠) يتجلى هذا الصراع الشخصى فى التناقض بين الهوية الشخصية لشيماء كامرأة مصرية وكارول كامرأة أمريكية.

تختلف ابنة الدكتور رأفت سارة التى نشأت مع الثقافة الأمريكية، تماماً عن شيماء من حيث الثقافة والقيم الأخلاقية، ولكن على الرغم من كل هذه الاختلافات والتناقضات، يبدو أن الشخصيات المذكورة تتفاعل بشكل ودّى مع بعضها بعضاً. إن تصوير الأسوانى لامرأة العالم الثالث، شيماء، والتشكيك فى صحة معتقداتها والتزاماتها الأخلاقية، هو أفضل مظهر للصراع بين العرقين والثقافات فى أمريكا والشرق. من ناحية أخرى، ما يتجلى فى القصة، هو الحقيقة الواضحة بأن الهويات الأمريكية والمصرية مثل الدكتور جراهام وكارول والدكتور رأفت والدكتور كرم وناجى وأشخاص آخرين، يصوّرون تفاعل عبر الوطنية خلال القصة. وهذا التفاعل يخفى الفجوة بين عرقين وثقافتين.

لكن إلقاء نظرة ثاقبة للتفاعلات الفردية والاجتماعية لهذه الشخصيات فى جميع أنحاء الرواية يكشف عن نوع من العداء المتجاهل فى الأفكار والمشاعر الخفية واللاواعية لهذه الشخصيات، والتى يمكن تفسيرها فى مفهوم "العدو الصديق". تظهر شخصيات القصة دون وعى، بسبب هوية ما بعد الحداثة التى تشكلت فيها، فى شكل أعداء ودودين يتسامحون مع العداوات والتناقضات من أجل الحفاظ على التفاعل والديمقراطية، وهى نفس سياسة الديمقراطية الاستعمارية الجديدة التى يتم فيها معاملة الأعداء كأصدقاء بدلاً من رفضهم حتى لا يصبحوا تهديداً للأمن الشخصى والاجتماعى ويتمكّنوا من السيطرة عليهم. على الرغم من أن العنصرية فى أمريكا لها جذور طويلة، والخلفية التاريخية لمدينة شيكاغو التى بينها الأسوانى تثبت ذلك، إلا أن سياسة الخوف من المهاجرين بعد أحداث ١١ سبتمبر تشتعل فى جميع جوانب الحياة الشخصية والاجتماعية لدرجة أن الشخصيات فى القصة، الأمريكية منها والمصرية، يعاملون "الآخر" بطريقة استعمارية.

الديمقراطية الجديدة وتكامل القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية فى "شيكاغو"

تمتزج المواضيع السياسية فى الرواية المصرية "شيكاغو" فى القرن الحادى والعشرين بقضايا شخصية واجتماعية بحيث يصعب فصل القضايا الشخصية والاجتماعية للقصة

عن القضايا السياسية. فى الطبقة الأولى من القصة، تربط أجواء الجامعة والقضايا العلمية بشخصيات القصة المختلفة. لكن هذه الروابط والتفاعلات العلمية تمتزج بالأفكار السياسية للمهاجرين المصريين، وهى نوع من محاولة لتحقيق أهداف سياسية تتجلى فى العلاقات بين الشخصيات، ونتيجة لمحاولة إصلاح الحكومة الفاسدة والقمعية فى مصر، ترتبط السياسة وحياة الشخصيات فى الرواية ببعضها بعضاً. ومع ذلك، فإن السياسة دقيقة للغاية لدرجة أنه لم يتم ذكر اسم الرئيس المصرى فى الرواية، والغريب فى ذلك أن النشطاء المصريين ينتمون إلى نوع من الحرية السياسية الاجتماعية الخالصة فى أمريكا. إنهم يقومون بأنشطتهم الاحتجاجية ضد الحكومة المصرية بكل اجتراء. إن شخصيات القصة وحياتها الخاصة والعلاقات فيما بينها تقود التفاعلات عبر الوطنية بشكل رمزى وتكشف السياسة والمجتمع والثقافة وتفاعلاتها وتناقضاتها.

شيماء باعتبارها الشخصية الأولى التى تتم معالجتها فى الرواية، هى امرأة مصرية/ عربية أجبرت على الهجرة إلى أمريكا بسبب الصراع بين القيم الثقافية والاجتماعية لمصر وأهدافها واهتمامها الشخصى بالتعليم. المعتقدات الدينية لشيماء التى تمنعها فى البداية من العديد من الحريات فى المجتمع الأمريكى، أصبحت فى نهاية المطاف تشكك فيها وتسبب ذلك فى أن تبحث شيماء عن سبب لصحة معتقداتها فى الكتب الدينية. فى نهاية المطاف، عانت شيماء نوعاً من الازدواجية فى الهوية وانعكست الثقافة الأمريكية فى ثقافتها المصرية والتى تعتبر وفقاً لأفكار الناقد الأدبى إدوارد سعيد، شكلاً من أشكال الاستعمار. أصبحت هوية شيماء فى صراع ثقافى واجتماعى مع هوية كارول كامرأة أمريكية وحرياتها وهوية سارة كمصرية أمريكية. وهذه الازدواجية الثقافية والاجتماعية يختبرها المهاجرون المصريون بشكل أو بآخر فى القصة: بعض الشخصيات مثل د. رأفت وضعوا هويتهم المصرية فى الظاهر جانباً تماماً وحاولوا أن يصبحوا أمريكيين، وبعض الشخصيات الأخرى مثل الدكتور صالح وناجى وكرم بقيت تعيش فى التحدى بين الهويتين الأمريكية والمصرية.

هذا التفكك[1] بين القضايا الشخصية والسياسية جعل شخصيات القصة تمثل نوعاً

1. 1. Disintegration.

من المجتمع السياسى الصغير الذى يسعى للوصول إلى توافق فى الرأى بشأن خطاب الاحتجاج ضد الحكومة المصرية، وبهذه الطريقة يكون لديهم خصومهم بين المصريين. لكن على الرغم من كل الاختلافات فى الرأى، يبدو أن شخصيات القصة تربطهم علاقة ودّية مع بعضهم. كما أن دعم الدكتور جراهام للأنشطة السياسية التى يقوم بها ناجى ضد الحكومة المصرية، كأميركى، يمكن أن يظهر بشكل رمزى صداقة أمريكا الظاهرة مع الديانات والأعراق الأخرى من أجل السيطرة عليها. وجود جراهام وهو أمريكى الأصل فى الحركات السياسية للمصريين فى شيكاغو، حتى فى الخطاب الذى ألقاه ضد فساد الحكومة المصرية، يعتبره الأسوانى قضية غريبة: «إن حضور جراهام فى الحشد، بجاذبيته الطبيعية كأمريكى والذى جاء للنضال من أجل حقوق المصريين، أعطى مظهراً مختلفاً للمتظاهرين.» (٣١٥)

من ناحية أخرى، يحمى أحمد دنانة مصالح الحكومة المصرية ويراقب أنشطة المصريين فى شيكاغو، مما يظهر اختلافات فى الرأى والآراء حتى بين المهاجرين المصريين المقيمين فى شيكاغو.

كما أن اختيار اسم شيكاغو لرواية تتعامل على ما يبدو مع الحركات الطلابية المناهضة لمصر فى أمريكا يظهر دور أمريكا وسياساتها فى السيطرة على الحركات السياسية. ناجى عبد الصمد وهو رجل ثورى عندما يرى أمريكا وحرياتها وديمقراطيتها يزداد دافعه لمحاولة إصلاح مصر، نظراً إلى اختلاط القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية والفردية فى هذه الرواية، فإن نقد أحداث الرواية بناءً على نظرية شانتل موف السياسية فيما يتعلق بالديمقراطية التعددية والعدو الصديق، يمكن أن يفسر سبب كون أحداث القصة رمزاً للاستعمار الحديث.

هجمات ١١ سبتمبر ومعاداة العرب فى شيكاغو

بدأت سياسة الـ"أنا" و "الآخر" ومعاداة الآخر مرة أخرى بعد هجمات الحادى عشر من سبتمبر. فبعد هجمات الحادى عشر من سبتمبر فى أمريكا، وفقاً للسياسات المتبعة فى المجتمع شعر الأمريكيون بنوع من الخوف من "الآخر" وأصبحوا أكثر

حساسيةً لأمن وطنهم وأرضهم. تقول سوزان فالودى فى كتابها "حلم الإرهاب" إن «هجمات ١١ سبتمبر كانت هجوماً مروعاً على حلم الأمن الأمريكى.» (فالودى، ٢٠٠٨م: ١٥) ونتيجة لذلک، فإن ما شعر به الناس هو ضرورة الدفاع عن أرضهم ضد مخاطر "الآخرين" أو الأجانب، وفى هذه الرواية يتمثل الآخرون بالعرب والمسلمين. كان تأثير هذا الاعتقاد الاجتماعى قوياً جداً فى أمريكا لدرجة أن الدكتور رأفت، بصفته مصرياً، وفقاً لرواية القصة، «تحدث بعد ١١ سبتمبر، علانية ضد العرب والمسلمين بمثل هذه الوقاحة التى ربما لم يفعل معظم المتطرفين الأمريكيين مثله». على سبيل المثال، قال: «من حق الولايات المتحدة أن تمنع أى شخص عربى من دخول أراضيها حتى تتأكد من انه شخص متحضر.. لا يعتبر القتل فرضاً دينياً.» (٣٠) تُظهر تصريحات د. رأفت حول منع المهاجرين العرب من دخول أمريكا حقيقة تتمثّل فى أن شخصية رأفت وهويته قد تشكلتا تحت تأثير الأيديولوجية السائدة فى أمريكا، بحيث يرى رأفت العرب والمسلمين على أنهم "آخرون" بإمكانهم أن يشكّلوا خطراً وتهديداً للأمن، وهذا ما يسميه إدوارد سعيد "معاداة الشرق" من قبل الغرب وأمريكا.

شيما، فتاة عربية محجبة، أعربت فى حديثها مع طارق حسيب، صديقها المصرى وزميلها فى شيكاغو، عن استيائها من معاملة الأمريكيين لها على أنها "أخرى"، حيث قالت: «أشعر بانني منبوذة فى هذا البلد. الأمريكيون ينفرون منى لأنى عربية ومحجبة. فى المطار، استجوبونى وكأننى مجرمة. فى الكلية، يسخرون منى كلما رأوننى» يعبّر الأسوانى عن هذا اللامساواة والتمييز على لسان طارق نتيجة لهجمات ١١ سبتمبر والعداء ضد الإسلام فى أمريكا: «هذه ليست مشكلتک وحدک .. كلنا نتعرض لمواقف سخيفة.. صورة المسلمين ساءت هنا جداً بعد ١١ سبتمبر ... الأمريكى العادى لا يكاد يعرف شيئاً عن الإسلام.. وقد ارتبط الإسلام فى ذهنه بالإرهاب والقتل!» (٥٧) نتيجة لذلک، يمكن القول إن الأحداث المروعة مثل ١١ سبتمبر لعبت دوراً أساسياً فى إنشاء صورة خاصة عن المهاجرين، وخاصة الآسيويين والمسلمين، لأنه من وجهة نظر السياسة الأمريكية، يمثل الإسلام «ثقافة أخرى أو معاكسة.» (بورغا، ٢٠٠٣م: ٣٢) هذا التمييز العنصرى شديد لدرجة أن شيماء تقول: «قبل أن أجيء إلى أمريكا، كنت أشكو

من صعوبة الحياة فى مصر.. والآن أحلم فى العودة إليها.» (٥٧)

ما يتشكل فى الطبقات المخفية من قصة شيماء وسائر المهاجرين المصريين الآخرين، هو نوع جديد من الاستعمار تجاه المهاجرين والأعراق الأخرى، لأن ناجى كشخصية يخفى هويته الحقيقية ومن المرجح أن تكون له دوافع إرهابية، يتم القبض عليه فى نهاية الرواية ولم يتضح بعد أى عدو صديق وصفَه بأنه إرهابى.

صداقة معادية بدلاً من الانتقام: "شيكاغو" وسياسة أمريكا الاستعمارية الجديدة لاحتواء الأجانب

قراءة سياسية فى اتجاه تفكيك صورة الحرية والمساواة للمجتمع الأمريكى يمكن أن تكشف عن الطبقات الخفية للسياسة الاستعمارية من أجل السيطرة على الخصوم من خلال الصداقة معهم بشكل "العدو الصديق". تكشف رواية الأسوانى فى سرد حياة المهاجرين المصريين فى شيكاغو أن نسيج سياسات الإقصاء و"الآخر" للعرب والمسلمين يشكلان تهديدات محتملة. ونتيجة لذلك، فإن جميع الإشارات المتعلقة بالعرب والمسلمين والأعراق الأخرى قد ظهرت بشكل سلبى فى الروايات، الأمر الذى يثير الخوف والكراهية لدى الأمريكيين تجاه العرب: أحمد دنانة وهو مصرى متعصب ويعامل أسرته معاملة غير إنسانية، يتم تقديمه على أنه شخص متدين للغاية له ختم على جبهته، وشيماء كفتاة مسلمة، بعد البحث عن صحة معتقداتها، لم تتوصّل إلى نتيجة مُرضية لمعتقداتها الدينية. يتم تقديم محمد صالح كطبيب مصرى يستخدم فتاة أمريكية فقيرة تدعى كريس للحصول على الإقامة الأمريكية من خلال الزواج معها وينوى الانفصال عنها فى النهاية، وأخيراً، يتم القبض على ناجى بتهمة الانتماء إلى جماعة إرهابية. عندما يفشل برنامج الخطاب المصريين المكشوف أمام الرئيس المصرى فى شيكاغو، تجرى محادثة بين كرم وجراهام وناجى حول سبب هذا الفشل وما إذا كان الخطاب قد ألقى عن قصد أم بغير قصد، فبعد عودة ناجى إلى منزله يواجه شرطة الأمن الأمريكية. ويعتقل بتهمة التآمر على الأمن الأمريكى، فيتم استجوابه على النحو التالى:

«لدينا معلومات مؤكدة أنك [ناجى] ضالع فى خلية تخطط لعمل إرهابى فى

الولايـات المتحدة .. ماذا تقول؟ ..تكلم.. لماذا تريـد أن تدمر بلادنا، فتحنا لک أبواب أمريكا.، ورحبنا بک کی تصبح إنسـاناً محترماً.. وأنت بالمقابل تتآمر لتقتل الأميرکيين الأبرياء.. إذا لم تعترف، سأفعل بک کما يفعلون فی بلادک.» (٣٢٩)

إن اعتقال ناجی کإرهابی يکشـف الحقيقة المرة وهی أنه إلی جانب کل الصداقات وأجواء الحرية التی کانت سـائدة فی أمريکا والتی سمحت لناجی بالنشاط السياسی، تم الإبلاغ عن جميع أنشـطته من قبل أحد أصدقائه وتنم القبض عليه فی نهاية المطاف. وهنا يکشـف الاختلاف بـين مصير ناجی من جهة ومصير جراهـام وهو أمريکی من جهة أخری، حقيقة تتمثل فی أن السياسـة الأمريکية تکنّ فی طياتها التمييز العنصری والکراهيـة ضد الأجانب (الآخرين). من ناحية أخری، کشـفت الشـرطة الأمريکية عـن العلاقة بـين الحکومة الأمريکية ومصر قائلة إن «لقـد أعطتنا المخابرات المصرية معلومات کل شیء عن التنظيم الذی تنتمی إليه.. لا فائدة من الإنکار» (٣٢٨)، والذی يمکن اعتباره استبداداً عالمياً.

مـن هذا المنطلق يمکن اعتبـار موقف أمريکا من العرب والمسـلمين کعامل لتهديد الأمن القومی نوعاً من السياسة الاستعمارية الجديدة، الأمر الذی دفع الأمريکيين إلی توخی الحذر من العرب والمسـلمين، وهو ما يتجلی فی تصريحات أسـاتذة الجامعات عنـد قبولهم ناجی فی الجامعة. عندما صرح الدکتور جراهام أن «الحق واضح. کل من يجتاز الاختبارات التی طلبناها فی لائحة القسـم من حقه أن يلتحق بالدراسـة.. ليس من شأننا ما سوف يفعله [ناجی] بشهادته، وليس من شأننا أيضاً من من أی بلد جاء» يجيب الدکتور روبرت: «هذا الکلام هو ما أدی بأمريکا إلی کارثة ١١ سبتمبر!» (١٧) نتيجـة لذلک، نری أن جاک، وهو تلميذ الدکتور کرم، ينظـر بازدراء إلی الدکتور کرم ويعتبر نفسه أمريکياً أبيض متفوقاً. لذلک يمکن الاستنتاج أن هذا النوع من المواقف تجاه الأجناس الأخری بعد الحادی عشر من سبتمبر، يعدّ نوعاً من الاستعمار الجديد مخطط له من قبل والذی يهدف إلی نبذ العرق العربی والإسلامی. لأنه کما يقول الأسوانی فی الرواية «إن المؤسسة الأمريکية قد سيطرت علی کل شیء فی حياة الأمريکيين.. حتی العلاقة بين المرأة والرجل وضعت لها نظاماً صارماً.» (١١٦)

أخيراً، يمكن تفسير الفكرة الاستعمارية للقصة والتى تعتبر وفقاً لنظرية شانتل موف نوعاً من "العداء الودّى"، يمكن تفسيره على أنه الاستعمار الجديد لأمريكا فى القرن الحادى والعشرين، وما نتج عن هذا الاستعمار الجديد الذى يؤثر دون وعى على الهوية الفردية والاجتماعية للناس، هو معاملة الأمريكيين من أصل غير أمريكى بطريقة ودية للغاية لدرجة أن ناجى كتب فى خطابه السياسى فى بداية القصة:

«ما أشبهنى بذلك الجندى.. أنا الآن فى أمريكا، التى طالما هاجمتُها وهتفت بسقوطها وأحرقتها علمها فى المظاهرات.. أمريكا المسؤولة عن إفقار وشقاء ملايين البشر فى العالم؛ أمريكا التى ساندت إسرائيل وسلّحتها ومكّنتها من قتل الفلسطينيين وانتزاع أرضهم.. أمريكا التى دعمت كل الحكام الفاسدين المستبدين فى العالم العربى من أجل لمصالحها.. أمريكا الشريرة هذه أراها الآن الشيطان من الداخل فتنتابنى حيرة ذلك الجندى ويلحّ على السؤال: هؤلاء الأمريكيون الطيبون الذين يعاملون مع الغرباء بلطف، الذين يبتسمون فى وجهك ويحبونك بمجرد أن تلقاهم، الذين يساعدونك ويفسحون لك الطريق أمام الأبواب ويشكرونك بحرارة لأقل سبب، هل يدركون مدى بشاعة الجرائم التى تقترفها حكوماتهم ضد الإنسانية؟» (٣٦)

والآن، فى تحليل القصص التى رواها الشخصيات فى القصة، كان الاغتراب تجاه غير الأمريكيين والعرب فى نظر الأمريكيين واضحاً تماماً. وبهذه الطريقة يمكن الاستنتاج أن الشخصيات المنحدرة من أصل عربى فى القصة وعلاقتها بالأمريكيين لا يمكن اعتبارها إشارة إلى المساواة وحرية الأعراق والأديان فى أمريكا، بل هى نوع من التعايش السلمى من أجل جذب أصوات ديمقراطية ونتيجة لذلك يمكن السيطرة على "الآخر" فى ظل ما تسميه شانتل موف "العدو الصديق". وهذا ليس سوى إحياء للاستعمار القديم ضد الأعراق والديانات الأخرى من خلال الاستعمار الجديد والخفى.

النتيجة

منذ الهجمات الإرهابية فى الولايات المتحدة عام ٢٠٠١م، ومن خلال وسائل الإعلام فى جميع أنحاء العالم، تم الترويج بشكل غير عادل للعقلية القائلة بأن الأجانب

والمهاجرين هم مرتكبو الإرهـاب المحتملون. ونتيجة لذلک، ينبغى على المرء أن يكون حذراً بشأن المهاجرين. فى حقبة ما بعد الاستعمار، عندما يزعم أن جذور الاستعمار قد اقتلعت، فى الواقع اتخذ العداء تجاه "الآخرين" أو المهاجرين شـكلاً استعمارياً جديداً، من خلال دراسـة المظهر الأدبى للثقافة والأيديولوجيا السائدة فى أمريكا على أساس فكـرة "تعددية العدوّ الصديق" التى اقترحتها شـانتل مـوف باعتبارها سمة من سمات الديمقراطية الحديثة وسـبب بقاء الديمقراطية فى العالم اليوم، فإن ما يتجلى بوضوح فى رواية "شيكاغو" للكاتب المصرى علاء الأسوانى، هى المسافة والحدود بين الأمريكيين والمهاجرين، والتى تركّزت فى هذه الرواية على المهاجرين العرب والمسـلمين بالذات. يظهر عنوان الرواية وهو اسـم مدينة "شيكاغو" رمزياً التأثير الهائل لاستعمار أمريكا للعرب وتفـوق "الذات" على "الآخر". وفقاً لنظريات موف حول الديمقراطية التعددية، كمـا ظهرت فى هذه الرواية، يتم التعامل مع العدائية بطريقة اسـتعمارية جديدة بمظهر ودّى، مما ينتج عنه عداء سياسـى وعنصرية لا يمكن الشـعور بهما. تنص موف على أن التناقضات الاجتماعية تحاول الحفاظ على هوية "الآخر" بطريقة غير مسـتقرة وقابلة للتغيـير: إنهم بحاجة إلى "الآخر" للتعبـير عن هويتهم المهيمنة المتفوقة وإثباتها. لذلک، بدلاً من رفض "الآخرين"، يتم قبولهم ديمقراطياً فى الثقافة والمجتمع الأمريكيين، ولكن يتم التعامل معهم على أنهم "أعداء أصدقاء". ونتيجة لذلک، فإن الجو الذى تم إنشـاؤه هو جو سياسـى معـادٍ ولكن يبدو ودوداً، حيث لا يحق للعديـد من المهاجرين – وفى هذه القراءة الأدبية للأجناس العربية والإسـلامية – الاختيار ويسـمح لهم فقط بعيش حياتهم الشخصية. والسـبب فى تحول العداوات الطويلة الأمد والاستعمار والعنصرية إلى نوع من العداء الودّى فى ديمقراطية اليوم، هو أن نظرة العدو الصديق تزيل جوانب العـداء العنيفة والمدمرة وتحوّل العدو إلى مجرد خصم يخالفک الرأى فقط. نتيجة لذلک، تُظهـر القراءة الأدبية فى رواية شـيكاغو هذه، والتى قامت بدراسـة معاداة "الآخر" الاستعمارية الأمريكية ضد الأعراق والأديان الأخرى، طريقة المعاملة فيما بين ثقافتين وعرقـين متعارضتـين مع بعضهما بعضاً فى شـكل "العدو الصديـق". وعلى الرغم من الاسـتياء المضمر، فإنهم يتسامحون فيما بينهم. نتيجة لذلک، يمكن اعتبار هوية السلوک

المزدوج العدائى/الودى سمة من سمات سلوك ما بعد الحداثة فى القرن الحادى والعشرين لأمريكا التى بدلاً من رفضها المهاجرين من الأعراق والأديان الأخرى، تخفى العداء والاستعمار الجديد ضدهم حتى تدّعى الديمقراطية.

المصادر والمراجع

الأسوانى، علاء. (٢٠٠٩م). *Chicago* (شيكاغو). ترجمة: عبد الوهاب فاروق. المملكة المتحدة: هاربر بيرنيال.

بودريار، جان. (٢٠٠٢م). *The Spirit of Terrorism and Requiem for the Twin Towers* (روح الإرهاب). ترجمة: كريس تيرنر. فيرسو.

بوهمر، أليك. (٢٠٠٦م). *Colonial and Postcolonial Literature* (الأدب الاستعمارى وما بعد الاستعمار). لندن: مطبعة جامعة أكسفورد.

بوهمر، أليك؛ مورتون، ستيفن. (٢٠١٠م). *Terror and the Postcolonial Writing and Terror."* (الكتابة ما بعد الكولونيالية والرعب، الإرهاب وما بعد الاستعمار). آمريكا: وايلى بلاك ويل للنشر. ص ص: ١٤١-١٥٠.

بونيلا سيلفا، إدواردو. (٢٠٠٤م). *From Biracial to Triracial: Towards a New System of Racial Stratification in the USA."* (من ثنائى العرق إلى ثلاثى الأعراق: نحو نظام جديد للطبقات العرقية فى الولايات المتحدة.) الدراسات العرقية والعنصرية. ص ص: ٢٧و٦.

_____، إدواردو. (٢٠٠٩م). *Racism without Racists: Color-Blind Racism and the Persistence of Racial Inequality in America* (عنصرية بدون عنصريين: اللاعنصرى واستمرار عدم المساواة العرقية فى أمريكا). الطبعة الثالثة. لانهام (مد): رومان وليتلفيلد للنشر.

بورغا، فرانسواز؛ إسبوسيتو، جون. (٢٠٠٣م). *Veils and Obscuring Lenses." In Modernizing Islam: Religion in the Public Sphere in the Middle East and Europe* (الحجاب وصور التعتيم فى تحديث الإسلام: الدين فى المجال العام فى الشرق الأوسط وأوروبا)، أمريكا: جامعة روتجرز.

بوش، جورج دبليو. (٢٠٠٥م). *George W. Bush Discusses War on Terror.* (جورج دبليو بوش يناقش الحرب على الإرهاب). وايتهاوس، *www.Whitehouse.Gov/News/Releases/2005/10/Print/20051028-1.Html*

دوان، وودى. (٢٠٠٣م). *Rethinking Whiteness Studies." Chapter in White Out.* (إعادة التفكير فى دراسات تفوق البيض. فصل الأبيض الأجنبى: استمرار أهمية العنصرية). المراجعة: أشلى دبليو دوان وإدواردو بونيلا سيلفا، روتليدج.

سـوزان فالـودى. (۲۰۰۸م). *The Terror Dream: Fear and Fantasy in Post-9/11 America* (حلم الإرهاب: الخوف والخيال فى أمريكا بعد ۱۱ سبتمبر). بيكادور.

فانون، فرانز. (۱۹۵۲م). *Black Skin, White Masks* (بشرة سوداء...أقنعة بيضاء). ترجمة: فيلكوكس، ريتشارد. *Grove Press, Rev. Ed.*

جيليجـان، كارول. (۱۹۸۲م). *In A Different Voice: Psychological Theory and Women's Development*. (بصوت مختلف: النظرية النفسية وتطور المرأة). أمريكا: مطبعة جامعة هارفارد.

_____؛ ويجنـز، جرانـت. (۱۹۸۷م). «*The Origins of Morality in Early Childhood Relationships*» (أصـول الأخلاق فـى علاقات الطفولة المبكرة.). جيروم كاجان. شـارون لامب. وآخـرون. , *the Emergence of Morality in Young Children* (ظهـور الأخـلاق عنـد الأطفال الصغار). مطبعة جامعة شيكاغو، ، ص ۲۷۹.

جيلروى، بـول. (۲۰۰۰م). *Imagining Political Culture beyond the Color Line* (ضد العرق: تخيل الثقافة السياسية وراء خط اللون). أمريكا: مطبعة جامعة هارفارد.

_____. (۱۹۹۷م). *Diaspora and the Detours of Identity* (الشـتات وانحرافـات الهويـة)، المراجعة: وودوارد، مجلة *الهوية / اختلاف العلمية (Identity and Difference)*. سيج، (لندن). ص ص: ۳۰۱-۳٤٦.

حداد، إيفون ى. (۱۹۹۱م). *The Muslims of America* (مسلمو أمريكا). مطبعة جامعة أكسفورد.

هـال، سـتيوارت. (۱۹۹۰م).« *Cultural Identity and Diaspora," Identity: Community, Culture, Difference*» (الهويـة الثقافية والشـتات. الهوية: المجتمع، الثقافـة، الاختلاف). لورانس وويشارت للنشر.

هاسـلانجر، سـالى. (۲۰۰۹م). « *Exploring Race in Life, In Speech, And in Philosophy: Comments on Joshua Glasgow's A Theory of Race*» (دراسـة العـرق فـى الحيـاة والكلام والفلسفة: تعليقات على نظرية جوشوا غلاسكو حول العرق). ندوات حول الجنس والعرق والفلسفة، المجلد ٥، العدد. ۲.

_____. (۲۰۰۰م). «*Gender and Race: (What) Are They? (What) Do We Want Them to Be?*» الجنـس والعرق: (مـا) هل هم؟ (ماذا) نريدهم أن يكونـوا؟. المجلد ٣٤. العدد١. ص ص: ٣١–٥٥.

جيمسـون، فريدريـک. (١٩٨٦).«*Third World Literature in the Era of Multinational Capitalism*» (أدب العالم الثالث فى عصر الرأسمالية المتعددة الجنسيات). نص اجتماعى ١٥. خريف ١٩٨٦م. صيانة.

_____. (۱۹۹۱م). *Postmodernism, or, the Cultural Logic of Late Capitalism* (مـا بعـد

الحداثة، أو المنطق الثقافى للرأسمالية المتأخرة). فيرسو.
كيلى، روبين. (٢٠٠٢م). *Preface to Aime Cesaire, Discourse On Colonialism* (مقدمة على كتاب "خطاب حول الاستعمارلـ أيمى سيزير". ترجمة: جوان بينكهام. مطبعة جامعة نيويورک الشهرية. الطبعة٢.
لومبا، آنيا. (٢٠٠٥م). *Colonialism/Postcolonialism* (فى نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار). لندن: روتليدج للنشر.
ماكفرسون، هايدى سليتيدال. (٢٠١٢). *«Escape from the Invasion of the Love-Killers': Lorrie Moore's Metafictional Feminism." Journal of American Studies »* (الهروب من الهجوم على قتلة الحب: نسوية ماوراء القص لـ لورى مور). *مجلة الدراسات الأمريكية*، المجلد ٤٦، العدد٣. ص ص: ٥٦٥-٥٨٠.
مورتون، ستيفن. (٢٠٠٣م). *Gayatri Chakravorty Spivak* (غاياترى شاكرافورتى سبيفاک). لندن: روتليدج للنشر.
موف، شانتال. (٢٠٠٩م). *«Democracy in a Multipolar World»* (الديمقراطية فى عالم متعدد الأقطاب)، *الألفية*. المجلد ٣٧. العدد ٣. ص ص ٥٤٩-٥٦١.
_____. (١٩٩٩م). *«Deliberative Democracy or Agonistic Pluralism»* (ديمقراطية تداولية أم تعددية مناهضة). البحث الاجتماعى، المجلد ٦٦، العدد ٣. ص ص ٧٤٥ - ٧٥٨.
_____. (٢٠٠٦م). *«Religion, Liberal Democracy, and Citizenship»* (الدين، الديمقراطية الليبرالية والمواطنة). اللاهوت السياسى: الأديان فى عالم ما بعد العلمانى. بقلم هنت دى فرايز ولورنس يوجين سوليفان. مطبعة جامعة فوردهام. ص ص ٢٦-٣١٨.
_____. (٢٠١٣م). *Agonistics: Thinking the World Politically* (التصارعية: التفكير فى العالم سياسياً). لندن- نيويورک. فيرسو.
_____. (٢٠٠٠م). *The Democratic Paradox* المفارقة الديمقراطية. فيرسو.
_____. (٢٠٠٥م). ____. *On the Political, Thinking in action* (على الصعيد السياسى: التفكير عملياً). نيويورک. روتليدج.
سعيد، ادوارد. (١٩٨١م). *Covering Islam: How The Media and The Experts Determine How We See the Rest Of The World* تغطية الإسلام: كيف يحدد الإعلام والخبراء كيف نرى بقية العالم. أمريكا: كتب البانثيون.
_____. (١٩٩٤م). *Culture and Imperialism* (الثقافة والإمبريالية). أمريكا: مطبعة فينتاج.
شتاينبرغ، ستيفن. (٢٠٠٠م). *Race And Ethnicity In The United States: Issues And Debates* (العرق والانتماء العرقى فى الولايات المتحدة: قضايا ومناقشات. ط١. أمريكا: بلاكويل.